126818 ـ أصحاب الأهواء هم أهل الخلاف والشقاق

السؤال

لماذا الإسلام مُقسّم إلى العديد من الفرق ، كالشيعة و السنة و السلفية ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

مما ينبغي أن يعلم أن الإسلام دين التوحيد ؛ قد جاء بتوحيد الله ، الذي هو أصل الأصول في هذا الدين ، وأمر باجتماع الناس كلهم على ذلك ، ونبذ دواعي النزاع والشقاق ، ونهى أشد النهي عن التفرق والاختلاف ، قال الله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) آل عمران/103

ثم قال تعالى بعدها :

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

آل عمران/105

وقال سبحانه : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) الأنفال/46

وقال تعالى : (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) الروم/31، 32 .

وقرأ حمزة والكسائي: (فارقوا دينهم)

"حجة القراءات" (278) – "تفسير القرطبي" (14/ 32)

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا) . رواه البخاري (3476) .

قال الحافظ رحمه الله :

" فِي هَذَا الْحَدِيث الْحَضّ عَلَى الْجَمَاعَة وَالْأُلْفَة وَالتَّحْذِير مِنْ الْفُرْقَة وَالِاخْتِلَاف وَالنَّهْي عَنْ الْمِرَاء فِي الْقُرْآن بِغَيْرِ حَقّ ، وَمِنْ شَرّ ذَلِكَ أَنْ تَظْهَر دَلَالَة الْآيَة عَلَى شَيْء يُخَالِف الرَّأْي فَيُتَوَسَّل بِالنَّظَرِ وَتَدْقِيقه إِلَى تَأْوِيلهَا وَحَمْلهَا عَلَى ذَلِكَ الرَّأْي وَيَقَع اللِّجَاج فِي ذَلِكَ وَالْمُنَاضَلَة عَلَيْهِ " انتهى .

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ : (لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)

رواه أبو داود (664) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" .

وروى ابن ماجة (85) عن عبد الله بن عمرو قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنْ الْغَضَبِ فَقَالَ : (بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ؟ بِهَذَا هَلَكَتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ)

صححه الألباني في "صحيح ابن ماجة" (1/157)

وعن عَرْفَجَةَ بن شريح قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ (يعني فتن وأمور محدثة) فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ) . رواه مسلم (1852) .

والنصوص في الباب كثيرة لا تحصى ، والمقصود التنبيه على أن الإسلام لم يأت بالفرقة ، وإنما جاء بضدها من الألفة والاجتماع ، ولكن على الحق ، وهذا هو مفترق الطريق .

فالاجتماع مشروط بكونه على الحق ، ورد الخلاف مشروط بكونه إلى الحق ، فلما اختلفت أهواء الناس وتعددت مشاربهم ، تشتتت مفاهيمهم حول دعوة الإسلام ، ومن طلب الحق بدلائله يجدها لا تزال دعوة غضة طرية ، لا تشوبها شائبة ، ولا يعيبها عيب .

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حال الأمة من بعده بقوله : (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) رواه أبو داود (4607) وابن ماجة (44) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة

وعند ابن ماجة : (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ)

فأمر بالتمسك بالسنة دينا ، وأقر الاختلاف في الأمة قدرا ، ورده إلى السنة شرعا ، ووصف محدثات الأمور بأنها ضلالة ، وهو ما يتوافق مع ما تقدم من النصوص .

فالإسلام لا ينقسم إلى فرق يخالف بعضها بعضا ، ويعادي بعضها بعضا ، ولكن الناس هم الذين يختلفون بقدر بعدهم عن الدين ، وتركهم سنة نبيهم ، واتباعهم لأهوائهم .

روى ابن ماجة (3992) وابن أبي عاصم في السنة (53) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار) قيل : يا رسول الله ، من هم ؟ قال : (هم الجماعة) . صححه الألباني في

الصحيحة (1492)

وفي رواية : (ما أنا عليه وأصحابي) رواه الترمذي (2641) وحسنه .

ثانيا :

أهل السنة ، أو السلفية ، وهما إطلاقان مترادفان ، هم المستمسكون باتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمتابعون لهدي السلف الصالح ، في أقوالهم ، وأفعالهم ، وأحوالهم ؛

وهذا من أصول الخلاف بينهم وبين غيرهم من الطوائف ، أعني : أن يصدرون في كل شيء عن نص الكتاب والسنة ، أولا ، لا سيما في مسائل الاعتقاد ، ويراعون طريق السلف الصالح في ذلك كله ، ويقدمون ذلك كله على نتائج أفكار العقول ، وما تقوله الفلسفات البشرية ، فيما ليس من طاقة البشر من أمور الغيب .

وينظر : إجابة السؤال رقم (6280) ، (10121) .

والله أعلم .